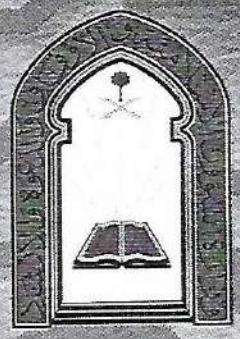

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد

التفسير البسيط للقرآن الكريم

إعداد
د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

الجزء الخامس والعشرون

منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم

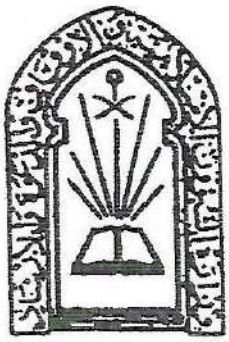

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد

التفسير البسيط للقرآن الكريم

بقلم
د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى عام ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م

الجزء الخامس والعشرون

منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
الأمانة العامّة لمسابقة القرآن الكريم

ⓒ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

باجودة، حسن محمد

التفسير البسيط للقرآن الكريم الجزء الخامس والعشرون. / حسن محمد باجودة . - الرياض ، ١٤٢٨هـ

... ص ، ... سم

ردمك :٠-٦٠٥-٢٩-٩٩٦٠- ٩٧٨

١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ ٤٦٠٤ / ١٤٢٨

رقم الإيداع : ٤٦٠٤ / ١٤٢٨

ردمـــك : ٠-٦٠٥-٢٩-٩٩٦٠- ٩٧٨

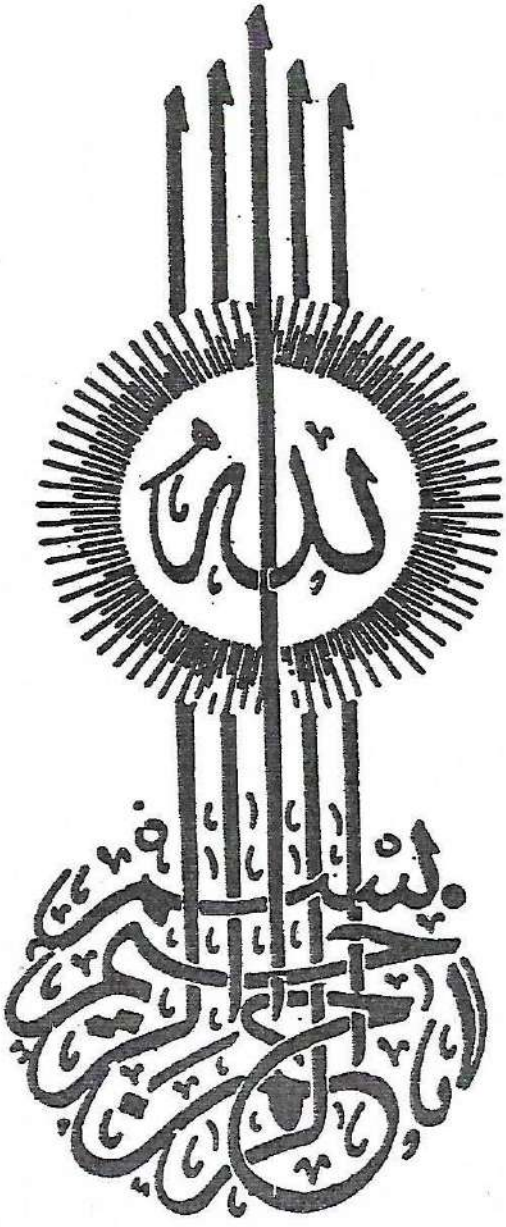
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا تفسير مبسط للجزء الخامس والعشرين من القرآن الكريم، يغطي تمام سور فصلت والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية. وقد قمت بعمله على غرار تفسير الأجزاء الأربعة والعشرين السابقة. إن هذا الجزء الخامس والعشرين هو حلقة في سلسلة التفسير التي تُقدم للمتسابقين، في الحقل الأول، الذي يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التفسير، من بين الحقول الخمسة في مسابقة الملك عبد العزيز الدولية لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره، التي تعقدها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، برئاسة معالي وزيرها الشيخ صالح ابن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ في كل عام ويأتي هذا التفسير تتويجاً للأعمال التي تمت في مجال التفسير أثناء المسابقة.

وأنتهز هذه المناسبة المباركة كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، وعلى رأسها معالي الوزير، على الفرصة الّتي منحتني إيّاها، بأن أقوم بعمل هذا التفسير، الذي حرصت فيه - كما حرصت في سابقيه - على أمور أهمها ثلاثة:

١- أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات.

٢- أن أشير إلى الدّروس التي يمكن أن تستفاد.

٣- أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم الثلاثاء ١٤٢٢/٢/١٤ هـ

الموافق ٢٠٠١/٥/٨ م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

د. حسن محمّد باجودة

أستاذ الدّراسات القرآنية البيانيّة

جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

أولاً

تمام سـورة فُصّلَتْ

﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ
مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ
مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا
لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ
فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ
هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ
لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ
﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو
دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم
بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى
ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ
بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

بين يدي التّفسير

(١)

"وجوب الاستدلال على البعث بآيات الله تعالى البيّنات المعنوية والحسيّة، والعمل ليوم القيامة قبل فوات الأوان"

الآيات(٤٧-٥٤)

من القضايا التي عُنِيَتْ بها سورة فصّلت المكّيّة الكريمة البعث بعد الموت. إنّ هذه القضيّة قد عُنِيت بها السّورة الكريمة عنايةً كبيرة؛ فتحدّثت عن ملابسات يوم القيامة وعذاب المشركين في نار جهنم حديثاً مستفيضاً. ومن أجل حمل المشركين على الإيمان والعمل ليوم القيامة كان في السّورة الكريمة لفت لانتباه المشركين إلى آية القرآن الكريم الكتاب الحقّ الموحى به من ربّ العالمين، وإلى عدد من آيات الله تعالى البيّنات المحسوسة كالسموات والأرض واللّيل والنّهار والشّمس والقمر. وفى نهاية الجزء السّابق الرّابع والعشرين كان ثمّة حديث مستفيض عن القرآن الكريم الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والهدى والشفاء للمؤمنين والذي نزل بلسان عربي مبين. وعلى الرّغم من كلّ هذه الآيات البيّنات يصرّ المشركون على شركهم وعلى إنكار البعث جرياً على عادة المشركين في كلّ زمانٍ ومكانٍ، نحو ما فعل المشركون من قوم موسى عليه السّلام، وفى ذلك تسلية للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم. إنّ على كلّ أن يعلم أنّه مسؤول وَحْدَه عمّا يأتي من خيرٍ أو شرّ يثاب أو يعاقب عليه. ويصرّ كفّار مكّة على موقفهم وتظلّ رحمة الله تعالى تلاحقهم.

يبدأ الجزء الخامس والعشرون بالحديث عن على الله تعالى المحيط، ويركّز القسم الأخير من السّورة الكريمة على الحديث عن البعث بعد الموت وعن الإنسان الكافر الكفور للنّعم، ويعدّ كفّار مكّة المثال الواضح لجنس الإنسان الكافر الكفور للنّعم.

إلى الله تعالى وحده دون سواه يُرَدُّ علم السّاعة، فلا يعلم ذلك الوقت نـــبيٌّ مرسل ولا مَلَكٌ مقرّبٌ فضلاً عمّنْ سواهما. وما تخرج من ثمراتٍ من أوعيتها وما تحمل من أنثى من البشر وسواهم وما تضع إلاّ بعلمه عزّ وجلّ. ويوم القيامة ينادي عزّ وجلّ المشركين ويقول لهم على سبيل التّقريع: أين شركائي الّذين زعمتم في الدّنيا أنّهم شركائي فأشركتموهم معي في العبادة؟ قالوا : أعلمناك ما منّا من شهيد يشهد أنّ لك ندّاً وعديلا. وغاب عنهم ما كانوا يعبدونهم مِن قَبْلُ في الحياة الدّنيا، وأيقنوا أنّهم ما لهم من مهربٍ من عذاب الله تعالى.

وأنّ جنس الإنسان الكافر الكفور للنّعم، الذي يمثّله كفّار مكّة ومن شاكلهم من المشركين في كلّ زمانٍ ومكانٍ، لا يملّ من دعاء الخير لنفسه.وإن مسّه الشّرّ من فقرٍ أو مرضٍ وما إليهما فيؤوس من رَوْح الله تعالى قنوط من رحمته. ولئن أذقنا هذا الإنسان رحمةً منّا. من غنىً وصحّةٍ وما إليهما، من بعد ضرّاء مسّته، وشدّةٍ نالته، ليقولنّ هذا لي على جهة الجدارة والاستحقاق! بل ويندفع إلى أحطّ دركات السَّفَه بالقول: وما أظنّ السّاعة قائمةً وما أعتقد أنّ البعث بعد الموت حاصل! ولو فُرض أن السّاعة قد أزفت ورُجعتُ إلى ربّي إن لي عنده للحُسنَى من مالٍ وخيرٍ، لكرامتي على الله تعالى، بدليل إكرامه لي في الدّنيا!

فلننبّئنّ الّذين كفروا بما عملوا في الحياة الدّنيا ولنذيقنّهم من عذابٍ غليظٍ في نار الجحيم. وإذا أنعمنا على جنس الإنسان الكافر الكفور للنعم، وتفضلنا عليه بالخير العميم أعرض بوجهه وَصَدّ، ونأى بجانبه وابتعد، وعاد إلى شركه، ونسي ما كان يدعو

من قبل ساعة الشّدة. وإذا مسّه الشّر فذو دعاءٍ عريض وإفرادٍ لله تعالى بالعبادة، ونسيانٍ للآلهة المزعومة!

قل يا محمد لكفّار مكّة أرأيتم إن كان هذا القرآن الكريم موحى به من عند الله تعالى، وهو كذلك، فلماذا لا ترتّبون النتيجة المنطقيّة بالإسلام، على المقدّمة الصّحيحة وهي أنّ القرآن الكريم موحًى به من ربّ العالمين. العجيب فيكم أنّكم لم ترتّبوا النّتيجة الصّحيحة على المقدّمة الصّحيحة بل رتبتم النتيجة المعكوسة غير المتوقعة وهي الكفر على المقدّمة الصحيحة، وهي كون القرآن الكريم كلام ربّ العالمين. لقد أوحى حرف العطف(ثمّ) بالاختلاف غير المنطقي بين المقدّمة الصّحيحة والنّتيجة الخاطئة. إنّه لا أحد أضلّ منكم يا كفّار مكّة ومن شاكلكم؛ لأنكم في شقاق بعيدٍ عن الحق وضلالٍ أكيد بإعراضكم عن القرآن الكريم كلام ربّ العالمينّ.

إنّا سنُري المشركين وجميع النّاس آياتنا الدّالة على قدرتنا المطلقة وعلى الإيحاء بالقرآن الكريم وعلى البعث ومعجزاتنا المبثوثة في آفاق السّموات والأرض وفي أنفسهم حتّى يتبين أنّ القرآن الكريم هو الحقّ المبين.أنّ القرآن الكريم أنزله الله تعالى بالحقّ، وبالحقّ نزل القرآن الكريم، فكلّ الآيات في الآفاق وفى الأنفس تشهد للقرآن الكريم بأنّه حقّ، و بأنّ الباطل لا يمكن أن يأتيه من بين يديه ولا من خلفه.أو لم يكف المشركين ربّك يا محّمد أنّه على كل شيءٍ شهيد، والله تعالى يشهد أنّ القرآن الكريم قد أنزله عليك بعلمه عزّ وجلّ وقدرته.

ألا أنّ كفّار مكّة ومن شاكلهم في شكٍّ من لقاء ربّهم عزّ وجلّ إلى حدّ الارتياب والاضطراب، ألا أنه عزّ وجلّ بكلّ شيءٍ محيط علماً وقدرة، فبادروا يا أيّها النّاس إلى الإيمان واتباع خير الأنام – صلّى الله عليه وسلّم – واعملوا الصّالحات كي تدخلوا الجنة بسلام بإذن الله تعالى.

التفسير

(١)

"وجوب الاستدلال على البعث بآيات الله تعالى البيّنات المعنويّة والحسّيّة والعمل ليوم القيامة قبل فوات الأوان"

الآيات(٤٧-٥٤)

﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾

من أكمامها: الأكمام جمع كم، بكسر الكاف، وهو ما يغطّي الثّمرة[1].

آذنّاك: أعلمناك[2].

ما منّا شهيد: يشهد أنّ لك شريكا[3].

وظنّوا: وأيقنوا حينئذٍ[4].

ما لهم من محيص: ما لهم من ملجأٍ يلجؤون إليه من عذاب الله[5].

إلى الله تعالى يَرُدُّ أولو العقول الرّاجحة، والقلوب السّليمة من العلماء، علم السّاعة، فلا يعلم وقت قيام السّاعة أحدٌ إلا الله تعالى. وما تخرج من ثمراتٍ من أوعيتها، وما تحمل من أنثى من البشر وغيرهم ولا تضع إلاّ بعلمه عزّ وجلّ. ومع ذلك يصرّ المشركون على شركهم. ويوم القيامة يناديهم الله تعالى ويقول لهم على سبيل التّبكيت والتّقريع: أين شركائي الّذين كنتم في الدّنيا تشركونهم معي في العبادة! قال المشركون للحقّ جلّ وعلا: أعلمناك اليوم ما منّا من شهيد يشهد أنّ لك يا ربّنا شريكاً، فأنت الله تعالى الّذي لا إله غيرك ولا ربّ سواك.

---

[1] مفردات الرّاغب الأصفهاني: "كم" ٥٦٩١٢.

[2] تفسير الطبري ٢/٢٥.

[3] تفسير الطبري ٣/٢٥.

[4] تفسير الطبري ٣/٢٥.

[5] تفسير الطبري ٣/٢٥.

وغاب عنهم ما كانوا يعبدون في الدّنيا من آلة زائفة وخذلوهم في ذلك اليوم المهيب والموقف العصيب، وأيقنوا أنهم ليس لهم من ملجأٍ يلجؤون إليه من عذاب الله تعالى، وما لهم من مهربٍ يهربون إليه.

إن على المشركين أن يعوا هذه الدّروس جيداً، وأن يبادروا إلى الإيمان، واعتناق دين الإسلام، وعبادة الواحد الدّيّان، والإيمان بيوم القيامة، والعمل لذلك اليوم المجموع له النّاس المشهود.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾

لا يسأم الإنسان: لا يملّ الإنسان[1].

فيؤوس: فإنّه ذو يأسٍ من رَوْح الله وفَرَجه[2].

قنوط: من رحمته ومن أن يكشف ذلك الشّرّ النّازل به عنه[3].

هذا لي: أي بعملي[4] وأنى كنت أستحقه عند ربي[5].

لَلْحُسْنَى: غنىً ومالا[6].

---

[1] تفسير الطّبري ٣/٢٥ .

[2] تفسير الطّبري ٣/٢٥.

[3] تفسير الطّبري ٣/٢٥.

[4] تفسير الطّبري ٣/٢٥.

[5] تفسير الطّبري ١٧٤/٧.

[6] تفسير الطّبري ٣/٢٥.

أعرض: صدّ بوجهه[1] وأعرض عمّا دعوناه إليه من طاعتنا[2].

ونأى بجانبه: وبَعُدَ بجانبه[3] وناحيته[4] وبَعْدَ من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه[5].

فذو دعاءٍ عريض: كثير[6] والكلام العريض ما طال لفظه وقلّ معناه. والوجيز عكسه. وهو ما قلّ ودلّ.

لا يملّ جنس الإنسان الكفور للنّعم الكافر بالله تعالى من دعائه الخير لنفسه من صحّةٍ ومالٍ وجاهٍ وطول أجل وما إلى ذلك، وإن مسّه الشّرّ من مرضٍ وفقرٍ وخمول ذكرٍ وشدّةٍ وما إلى ذلك فإنه يؤوسٌ من رَوْح الله تعالى، قنوطُ من رحمته عزّ وجلّ.

ولئن أذقناه رحمةً منّا من صحّة وغنىً وما إلى ذلك من بعد ضرّاء مسّته من مرضٍ وفقرٍ وما إلى ذلك ليقولنّ على سبيل الفخر والفرح هذا لي بعملي، ويعْلم الله تعالى أنّي أستحقّ ذلك الخير، وليقولنّ على سبيلِ الاختيال والمرح: ما أظنّ السّاعة قائمةً وما أعتقد أنّ يوم القيامة آت. ولئن رُجعت إلى ربّي يوم القيامة على سبيل الافتراض، وكان ثمّة بَعث وحساب، إنّ لي عند ربّي للمال الوفير والخير الكثير. والدّليل على مترلتي الرّفيعة في الآخرة مترلتي الرّفيعة في الدنّيا. فلينبّئنّ الحقّ جلّ وعلا الّذين كفروا يوم القيامة بما عملوا في الحياة الدّنيا من سيّئات، وليذيقنّهم من عذابٍ غليظٍ في نار جهنّم.

---

[1] تفسير الطّبري ٤/٢٥.
[2] تفسير الطّبري ٤/٢٥.
[3] تفسير الطّبري ٤/٢٥.
[4] تفسير الطّبري ٤/٢٥.
[5] تفسير الطبري ٤/٢٥.
[6] تفسير ابن كثير ١٧٥/٧.

وإذا أنعمنا على جنس الإنسان الكفور للنّعم الكافر بالله تعالى أعرض بوجهه عن دعوة الحقّ، ونأى بجانبه استكبر عن عبادة الله تعالى. وإذا مسّه الشّرّ فذو دعاءٍ عريضٍ، وشكوى لا تنقطع، وأفرد الله تعالى بالعبادة، وأقرّ بتوحيد الألوهيّة، وقت الشدّة فقط.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾

من أضلّ ممّن هو في شقاقٍ بعيد: من أشدّ ذهاباً عن قصد السّبيل وأسلك لغير طريق الصّواب ممّن هو في فراقٍ لأمر الله وخلاف له بعيد من الرّشاد[1].

قل يا محمد لكفّار مكّة أرأيتم إن كان هذا القرآن الكريم موحىً به من عند الله تعالى ثمّ كفرتم به، وأعرضتم عنه حتّى توفّاكم الله تعالى، من أضلّ ممّن هو في شقاقٍ بعيد، وخلافٍ أكيد، وسير في غير طريق الهدى وسبيل الرّشاد. إنّه لا أحد أضلّ من كفّار مكّة ومن حذا حذوهم من المشركين الّذين آثروا سبيل الرّدى على سبيل الهدى.

ويلفت النّظر في الآية الكريمة حرف العطف: "ثمّ" الّذي يدلّ أساساً على التّرتيب مع التّراخي أي البعد الزّمني. إنّ هذا البعد يكون في الآية الكريمة معنوياً. إنّ الكافرين لم يرتّبوا النّتيجة على المقدّمة؛ فلم يكن موقفهم منطقياً من القرآن الكريم فبدل أن يؤمنوا به كفروا. فما أبعد الشّقّة بين المقدّمة والنّتيجة، وما أشدّ البون بين كون القرآن الكريم هو الحقّ الموحى به من الله تعالى، وبين إعراض كفّار مكّة عن هذا القرآن الكريم والكتاب العزيز.

---

[1] تفسير الطّبري ٤/٢٥ .

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

أو لم يكف بربّك أنّه على كلّ شيءٍ شهيد: الهمزة للاستفهام التّقريريّ.

الواو عاطفة. ربّك مجرور لفظاً بالباء، مرفوع محلاً فاعل يَكْفِ. والمصدر المؤوّل بعده بدلٌ منه[1].

تقرر الآية الكريمة أنّ الحقّ جلّ وعلا سوف يُرِي كفّار مكّة ومن شاكلهم من الكافرين في كلّ عصرٍ وعد آياته البيّنات الدّالاّت على قدرته المطلقة جلّ وعلا في أقطار السّموات والأرض من النّجوم المضيئات والكواكب النيّرات ومن الحيوانات والنّباتات والجمادات وما إلى ذلك من آيات بيّنات، وسوف يريهم آياته في أنفسهم التي لا يعرف العلم عنها حتّى يوم النّاس هذا إلاّ القليل. إنّ هذه الآيات البيّنات في السّموات والأرض والأنفس تدلّ على القدرة المطلقة للذّات العليّة، ويتّفق كلّ ما يصحّ اكتشافه منها مع أي الكتاب العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وبذلك يتبيّن لكلّ مصنفٍ أنّ هذا الكتاب العزيز هو الحقّ الموحى به من ربّ العالمين؛ فيبادر إلى الإيمان، واعتناق دين الإسلام الّذي بعث الله تعالى به محمّداً صلّى الله عليه وسلّم.

أو لم يكف المشركين ربُّك يا محمّد أنّه الشّهيد على كل شيء. ومّما يشهد الحقّ جلّ وعلا عليه وتكفي شهادته عزّ وجلّ أنه أنزل إليك هذا الكتاب العزيز بعلمه المحيط وقدرته المطلقة سبحانه.

---

[1] انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٧٤/١١.

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

تقرر الآية الكريمة الأخيرة في السّورة الكريمة أنّ كفّار مكّة في شكٍّ من لقاء ربّهم جلّ وعلا يوم القيامة. إنهم لا يؤمنون بالبعث، ولا يعلمون لما بعد الموت؛ لأنهم لايكادون يفهمونّ أن ثمة القوّة القادرة على إعادة الحياة إلى الموتى. وتقرّر الآية الكريمة كذلك أنّ الحقّ جلّ وعلا قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً وقدرة.

وممّا أحاط عزّ وجلّ علماً وقدرة إعادة الحياة إلى الأموات يوم القيامة من أجل الحساب فالجزاء، الثّواب والعقاب.

وهكذا يتبيّن أن البعث بعد الموت من الموضوعات المهمّة في سورة فصّلت المكّيّة الكريمة.

تعقيب:

نود أن نشير في هيئة نقاط إلى بعض الأمور المتعلّقة بالسّورة الكريمة:

١- سورة فصّلت من المكّيّ من القرآن الكريم الّذي نزل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة[١].

٢- تسمّى السّورة الكريمة كذلك حم السّجدة[٢] لوجود السّجدة فيها.

٣- عدد آيات السّورة الكريمة أربعٌ وخمسون آية[٣] وعدد كلماتها سبعمئة و أربعٌ وتسعون كلمة. وعدد حروفها ثلاثة آلاف وثلاثمئة وخمسون حرفاً[٤].

٤- سورة فصّلت ثاني سور آل حم السّبع.

٥- سّميت السّورة الكريمة: فصّلت، لقول الحقّ جلّ وعلا في الآية الكريمة الثّالثة: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ وجاءت الجملة كذلك في الآية الكريمة الرّابعة والأربعين.

٦- سورة فصّلت المكّيّة تُعنَى بالموضوعات الّتي يُعْنى بها المكّيّ من القرآن الكريم والّتي تتعلّق بأسس العقيدة وتقوّي هذه الأسس. إنّها تتحدّث عن القرآن الكريم الّذي أوحى الحقّ به إلى حبيبه -صلّى الله عليه وسلّم- والّذي يهدي إلى الطّريقة

---

[١] الإتقان ٤٣/١ ، وتفسير ابن كثير ١٥٠/٧، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٨/٢٤ مطبوع بهامش من تفسير الطبري.

[٢] الإتقان ٤٣/١، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٨/٢٤.

[٣] المصحف الشريف.

[٤] تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٨/٢٤.

الّتي هي أقوم، كما تتحدّث عن توحيد الله تعالى وآياته عزّ وجلّ الكونيّة كالسّموات والأرض، وفى الآفاق كاللّيل والنّهار والشمس والقمر، وفى الأنفس. وكذلك تتحدّث السّورة الكريمة عن الحياة الأولى الطّيّبة في حق المؤمنين، النّكدة في حقّ الكافرين، وعن نعيم المؤمنين في الجنّة وعذاب الكافرين في النّار. ويكثر في السّورة الكريمة الحديث عن البعث والنّشور والحساب والجزاء وعن ملابسات يوم القيامة، وبخاصّةٍ عذاب الكافرين في نار جهنّم. وبهذا يكون الإنذار غالباً على السّورة الكريمة، ووراء ذلك نال المؤمنون المستقيمون على التوحيد الدّاعون إلى الله تعالى حّظاً موفوراً من الحديث عنهم والثّناء عليهم. وكما كان الإنذار بعذاب الأولى والآخرة كان الإنذار بتحذير المشركين من مصير كمصير المكذّبين السّابقين كعادٍ وثمود وأصحاب موسى عليه السلام. وفى السّورة الكريمة حديث مستفيضٌ عن جنس الإنسان الكافر الكفور للنّعم الّذي يشرك بالله تعالى في الرّخاء ويفرده بالعبادة ويوحّده في الشّدّة. وتقلّب السّورة الكريمة الحديث لهذا الإنسان كي يؤمن ويدخل - بإذن الله تعالى - جنّات النّعيم. إنّ الإنسان الجنس بحاجةٍ إلى أن يؤمن بالله تعالى، ويوحّده، ويصدّق رسوله - صلى الله عليه وسلّم - ويتّبع القرآن الكريم الّذي تبيّنه السّنّة النّبويّة المطهّرة، ويعمل صالحاً، ويؤمن بالبعث، ويعمل ليوم القيامة؛ كي ينجو بفضل الله تعالى من النّار، وتشمله رحمة الله تعالى بدخول جنّات النّعيم.

وفى السّورة الكريمة تسليةٌ مباشرةٌ وغير مباشرةٍ للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم، وحديثٌ مستفيض عن علم الله تعالى المحيط بعالمي الغيب والشّهادة.

٧- من استعراض موضوعات السّورة الكريمة وقضاياها يتبين أخذ بعضها بأطراف بعض. تبدأ السّورة الكريمة بالحرفين المقطّعين: ﴿حمٓ ۝١﴾ وجرياً على السّور

الّتي تبدأ بهذه الحروف المقطّعة في الانتصار للقرآن الكريم على الفور أو على التّراخي يجيء الانتصار للقرآن الكريم، على الفور، وأثناء السّورة الكريمة، وفي نهايتها. والحقيقة أنّ القرآن الكريم واحدٌ من أهمّ موضوعات سورة فصّلت الكريمة. لقد جاء على الفور النّصّ على أنّ القرآن الكريم تنزيلٌ من الرّحمن الرّحيم. فالقرآن الكريم كلام الله تعالى موحًى به إلى محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم. وهو كتابٌ فصّلت آياته وبيّنت معانيها قرآناً عربياً لقوم يعلمون اللّسان العربيّ، وهم أئمة البيان وفرسان البلاغة، يبشّر المؤمنين بجنّات النّعيم، وينذر الكافرين بنار الجحيم. والعجيب في أمر القوم أنّهم قد أعرض أكثرهم عن دعوة الحقّ، فهم لا يسمعون القرآن الكريم سماع تدبّر. وقالوا قلوبنا في أغطية ممّا تدعونا إليه يا محمّد وفي آذاننا صمم فلا نسمع ما تقول، ومن بيننا وبينك حجاب فلا يصلنا نور الحقّ ولا نراه، فاعمل على دينك إنّنا عاملون على ديننا. ويأمر الحقّ جلّ وعلا حبيبه - صلّى الله عليه وسلّم - أن يقول للمشركين: ما أنا إلا بشرٌ واحدٌ مثلكم ومِنْ جنسكم يوحى إلي أنّما إلهكم إله واحدٌ لا معبود بحقّ سواه فاستقيموا واتّجهوا إليه، واستغفروه من ذنوبكم وبخاصةٍ الشّرك، وعذابٌ شديدٌ وأكيدٌ للمشركين، الّذين لا يتصدّقون ولا يؤتون زكاة أموالهم، وهم بالآخرة هم كافرون ولها منكرون. وعدم إتيان المشركين الزّكاة رمزٌ لعدم القيام بأيّ من أركان الإسلام، والسّبب في ذلك هو عدم إيمانهم باليوم الآخر. وفي مقابل المشركين هنالك المؤمنون الّذين يعملون الصّالحات فلهم أجرٌ غير مقطوعٍ ولا منقوص. ويلحظ أنّ الحديث المستفيض عن المشركين دليل على غلبة الإنذار على التبشير في السّورة الكريمة. وهذا المعنى يتأكّد في السّورة الكريمة دائماً.

وتجاه إصرار المشركين على موقفهم من الإعراض عن القرآن الكريم المعجزة البيانيّة، وهم أئمّة البيان يتحوّل السّياق إلى الحديث عن خلق الله تعالى السّموات والأرض ومن فيهنّ وما فيهنّ. قل يا محمّد لقومك الكافرين على سبيل الاستفهام الإنكاريّ التّوبيخيّ: أئنّكم، رغم كلّ هذه الآيات البيّنات لتكفرون بالله تعالى الّذي خلق الأرض دون دحو في يومين اثنين، وتجعلون له عزّ وجلّ أنداداً وشركاء له في العبادة! إنّ الّذي فعل ذلك هو الله تعالى ربّ العالمين المستحقّ أن يفرد بالعبادة. وجعل عزّ وجلّ فيها جبالاً رواسي من فوقها، وبارك فيها بالماء والزّرع والضّرع، وقدّر فيها أرزاقها، فما من دابّة في الأرض إلاّ على الله تعالى رزقها، وفى يومين اثنين آخرين تمام أربعة أيّام بالتّمام والكمال، ويستوي في علم ذلك كلُّ من سأل بقصد أن يَعْلَم.ثم قصد عزّ وجلّ إلى السّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا: أتينا طائعين لأمرك نحن ومن فينا وما فينا. فقضاهنّ عزّ وجلّ وجعلهنّ سبع سموات في يومين تمام ستّة أيّام، وأوحى في كلّ سماءٍ أمرها، وعيّن دورها المنوط بها، وزيّن عزّ وجلّ السّماء القريبة منّا بمصابيح من النّجوم والكواكب، وحفظها حفظاً بالشّهب من الشياطين الّذين يسترقون السّمع. ذلك الّذي وصفت تقدير الله تعالى العزيز في ملكه العليم الّذي أحاط بكلّ شيءٍ علماً.

ويصر كفّار مكّة على كفرهم رغم لفت الانتباه إلى قدرة الله تعالى المطلقة المتمثّلة في خلق السّموات والأرض، وخلقها أكبر من خلق النّاس بنصّ القرآن الكريم. فإن أعرض كفّار مكّة عن دعوة الحقّ، وهم قد أعرضوا فعلاً، فقل يا محمد لهم: أنذرتكم صاعقةً مهلكةً مثل صاعقة عادٍ في جنوبيّ الجزيرة العربيّة، وثمود في شماليّ الجزيرة العربيّة، حين جاءتهم رسل الله تعالى، يتبع بعضهم بعضاً، مقبلين عليهم ومدبرين عنهم، بألاّ يعبدوا إلا الله تعالى وحده لا شريك له. قالوا: لو شاء ربّنا أن يترل رسلاً لأنزل

ملائكةً من السّماء، فإنّا بما أُرْسلتم به أيّها البشر كافرون. فأمّا عاد قوم هودٍ – عليه السّلام –فاستكبروا في الأرض بغير الحقّ وقالوا: لا أحد أشدّ منّا قوّة! أَعَمُوا و لم يَرَوْا أنّ الله تعالى الّذي خلقهم من العدم هو أشدّ منهم قوّةً، وكانوا بآيات الله تعالى الدّالّة على قدرته يجحدون. فأرسل الله تعالى عليهم ريحاً صرصراً باردةً مزمجرةً ملتئمةً موصولةً في سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ نحساتٍ عليهم مشائيم، ليذيقهم الله تعالى عذاب الخزي في الحياة الدّنيا، ولعذاب الآخرة أخزى وأنكي، وهم لا يُنْصَرون بتخفيف العذاب أو صرفه. وأمّا ثمود قوم صالحٍ – عليه السّلام – فسهّل الله تعالى لهم سبل هداية الإرشاد فاستحبّوا العمى على الهدى، فزادهم الله تعالى عمىً، وصرف عنهم هدى التّوفيق، فأخذتهم صاعقة العذاب المهين بسبب ما كانوا يكسبون من آثام.

ونجّى الله تعالى الّذين آمنوا بقيادة صالحٍ – عليه الصّلاة والسّلام – وكانوا يتّقون الله تعالى ويحذرون عذابه بفعل الحسنات واجتناب السّيئات.

ويصّر كفّار مكّة على كفرهم واستكبارهم عن عبادة الله تعالى وحده دون سواه رغم لفت الانتباه إلى بعض آيات الله تعالى الكونيّة وإلى إهلاك المكّذبين السّابقين ممّثلين في عادٍ وثمود. ويتحوّل السّياق إلى تصوير حال هؤلاء الكافرين المستكبرين يوم القيامة في نار جهنّم. واذكر يا محمّد يوم يُحْشر أعداء الله تعالى إلى النّار فهم يُرَدّ أوّلهم إلى آخرهم ثمّ يساقون إليها. حتّى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون من معاصٍ أنكروها يوم القيامة. وقالوا لجلودهم وفروجهم على سبيل الإنكار: لِمَ شهدتم علينا ونحن الّذين استمتنا في الدّفاع عنكم إلى حدّ الكذب والإنكار؟ قالوا: لقد أنطقنا الله تعالى الّذي أنطق كلّ شيء، وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه تُرْجَعون يوم القيامة للحساب والجزاء. وما كنتم تستترون مخافة أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم بترك إتيان الآثام أصلاً، ولكن ظننتم أنّ الله تعالى لا

يعلم كثيراً ممّا تعملون من ذنوب. وذلكم الظنّ الّذي ظننتموه بربّكم أوقعكم في مهاوي الرّدى فأصبحتم من الخاسرين. إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء. فإن يصبروا على العذاب فالنّار مسكن لهم، وإن يطلبوا رضا الله تعالى بعمل ما يرضيه عزّ وجلّ وذلك بالعودة إلى الحياة الدّنيا فما هم من المرضيّ عنهم، المستجاب طَلَبُهُمْ، المحقّقة رَغْبَتُهُم. ويومئ السّياق إلى مظهرٍ من مظاهر زيادة القوم عمًى إلى عماهم وصرف هداية التّوفيق عنهم.

لقد سلّط الله تعالى عليهم قرناء ونظراء من شياطين الجنّ والإنس فزيّنوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدّنيا واتّباع الشّهوات، وما خلفهم من أمر الآخرة بقولهم لا بعث ولا حساب ولا جزاء، وحقّ عليهم قول الله تعالى بدخول جهنّم في الجملة أممٍ قد مضت من قبلهم من الجنّ والإنس. إنّهم كانوا جميعاً خاسرين.

ويومئ السّياق إلى مظهرٍ من مظاهر إعراض كفّار مكّة عن دعوة الحقّ وإلى عقابهم. لقد قال كفّار مكّة لأوليائهم من المشركين لا تسمعوا لهذا القرآن حينما يُتْلَى، والْغَوْا فيه برفع الأصوات، والصَّخَب، قَوْل الهُجْر، وغير النّافع من الكلام، لعلّكم تغلبون محمّداً والمؤمنين فلا يدخل في الإسلام أحدٌ! وهكذا يجمع القوم بين الكفر والصّدّ عن سبيل الله تعالى. فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً شديداً في الحياة الدّنيا، ولنجزينّهم أسوأ جزاء الّذي كانوا يعملون من سيّئات. ذلك الخزي جزاء أعداء الله تعالى. إنّها النّار الّتي لهم فيها دار الخُلْد جزاءً لهم بسبب ما كانوا بآيات الله تعالى الحسّيّة والمعنويّة يجحدون.

ندم كفّار مكّة ومن شاكلهم على تفريطهم في جنب الله تعالى، ولكن بعد فوات الأوان. إنّهم في نار جهنمّ ينادُون الحقّ جلّ وعلا قائلين: يا ربّنا أرنا اللذين أضلاّنا في الحياة الدّنيا من شياطين الجنّ والإنس؛ كي نجعلهما تحت أقدامنا؛ ليكونا من الأسفلين في قاع الجحيم.

ويبيّن السّياق للمؤمنين الكيفيّة التي يتمّ عن طريقها اتّقاء شرّ كلٍّ من شياطين الإنس والجنّ. إنّ ثـــمة نعوتاً يتحلّى بها المؤمنون المتّقون الّذين يوفّقهم الله تعالى وينصرهم على شياطين الإنس والجنّ.

إنّ الّذين قالوا ربّنا الله تعالى وحده لا شريك له وعبدوه وحده دون سواه ثمّ استقاموا على المحجّة البيضاء تتنزّل عليهم الملائكة وقت الموت بألا تخافوا ممّا تستقبلون بعد الموت، ولا تحزنوا على ما خلّفتم وراءكم من أهلٍ وولدٍ ومالٍ وما إلى ذلك، وأبشروا بدخول الجنّة الّتي كنتم في الدّنيا توعدون بها. نحن أولياؤكم والحفظة الّذين كنّا معكم في الحياة الدّنيا، ونحن كذلك الحفظة والأولياء لكم في الآخرة. ولكم في الجنّة ما تشتهيه أنفسكم ولكم فيها ما تطلبون، رزقاً مهيّئاً، ونزلاً معدّاً لكم من الله تعالى الغفور الرّحيم.

وبالنسبة للمؤمنين من أتباع محمّدٍ - صلّى الله عليه وسلّم - لا أَحَدَ أَحْسَنُ قولاً ممّن دعا إلى الله تعالى وإلى سبيل ربّه عزّ وجلّ بالحكمة والموعظة الحسنة وبالكلمة الّتي هي أحسن، وعمل صالحاً بجوارحه، وقال إنّني من المسلمين لله تعالى ربّ العالمين المذعنين المستسلمين. وبهذا جمع هذا الفريق بين صدق الإيمان، وصلاح العمل. وتَوَّجَ كونَهُ أسوةً حسنةً للآخرين بالدّعوة إلى الله تعالى. إنّ الدّعاة إلى الله تعالى لا أحد أحسن قولاً منهم عند الله تعالى.

إنّ الحسنة غير السّيّئة. وإنّ الحسنات درجات إلى أعلى، وإنّ السّيّئات دركاتٌ إلى أدنى، فادفع سيّئات الآخرين إليك بالكلمة الّتي هي أحسن، والمعاملة الّتي هي أجمل. ادفع الجهل بالحلم، والإساءة بالعفو، والغضب بالصّبر، والظّلم بالعفو، والمنع بالمنح، والقطع بالوصل. وهكذا إنّك إن فعلت ذلك فوجئت بأنّ الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه أكثر أصدقائك ولاءً لك، واهتماماً بك، وحرصاً على ما ينفعك.

إنّك بدفعك السّيّئة بالخصلة الّتي هي أحسن تدفع تلك الخصال السّيّئة الّتي توجد في شياطين الإنس. ولكن هذه الصّفة الرّفيعة والخصلة المنيعة لا يؤتاها إلا الّذين صبروا على البلاء والطّاعات وعن المعاصي، ولا يؤتاها إلاّ ذو حظٍ عظيمٍ ونصيبٍ موفورٍ من سعادتي الدّنيا والآخرة، بفضل من الله تعالى ونعمة. وهكذا يتمّ اتقاء شرّ شياطين الإنس بإذن الله تعالى، وهم الشياطين الّذين سلّطهم الله تعالى على الذين انصرفوا عن سواء السبيل فازدادوا انصرافاً. وفي المقابل طلب هؤلاء من الحقّ جلّ وعلا يوم القيامة أن يكون هؤلاء الشياطين المضلّون تحت أقدامهم في نار جهنّم.

أمّا شياطين الجنّ، الّذين سلطهم الله تعالى على الكافرين كما سلّط شياطين الإنس، فإنّ اتّقاء شرورهم يتمّ بالاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إليه عزّ وجلّ السّميع العليم. وشياطين الجنّ هم الفريق الآخر الّذي أراد الكافرون أن يكونوا تحت أقدامهم في نار جهنّم مع شياطين الإنس.

إنّك أيّها المؤمن إن أهاجك الشّيطان الرّجيم على الشّرّ وحثّك على أن تبادل السّيّئة بمثلها أو بأسوأ منها، وذلك غير الّذي هداك الله تعالى إليه وحثّك عليه، فالجأ إلى الله تعالى بالقول: أعوذ بالله تعالى السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم.

ويصرّ كفّار مكّة ومن شاكلهم على الإعراض عن سبيل الهدى، وتلاحقهم رحمة الله تعالى البرّ الرّحيم، فتلفت الانتباه إلى عددٍ من آيات الله تعالى الكونيّة على جهة التّفصيل. إن من آيات الله تعالى الدالّة على قدرته الّليل والنّهار والشّمس والقمر. لاتسجدوا أيّها النّاس للشّمس ولا القمر واسجدوا لله تعالى الّذي خلق اللّيل والنّهار والشّمس والقمر إن كنتم تعبدون الله تعالى حقاً وحده دون سواه توحّدونه صدقاً. ويكون السّجود في الصّلاة في المقام الأوّل. وكأن السّورة الكريمة ذكرت الصّلاة، وسبق أن ذكرت السّورة الكريمة الزّكاة، فكأنّ السّورة الكريمة جمعت بين الصّلاة

والزّكاة جرياً على عادة القرآن الكريم في الجمع بينهما. فإن استكبر كفّار مكّة عن السجود لله تعالى كما استنكفوا عن إيتاء الزّكاة فالّذين عند ربّك يا محمّد من الملائكة يسبّحون بحمد الله تعالى آناء اللّيل وأطراف النّهار وهم لا يَفْتُرُون ولا يملّون.

وبقصد حمل المشركين على الإيمان بالبعث والعمل لما بعد الموت بالإيمان وعمل الصّالحات يتحوّل السّياق إلى الحديث عن آية الأرض الميتة الّتي يحييها عزّ وجلّ بالماء فتهتز بالنّبات وترتفع. إنّ الّذي أحيا الأرض لمحيي الموتى. إنّه جلّ وعلا على كلّ شيءٍ قدير. وبذلك يكون في السّورة الكريمة اهتمامٌ بلفت الانتباه إلى قدرة الله تعالى المطلقة وعزّته جلّ وعلا، وإلى البعث بعد الموت.

ويصرّ كفّار مكّة على الإعراض، وتعود السّورة الكريمة إلى الحديث عن القرآن الكريم رحمةً من الله تعالى الواسعة بعباده وإن ظلّوا مصرّين على كفرهم وصدّهم عن سبيله عزّ وجلّ. إنّ الّذين يلحدون في آيات الله تعالى ويميلون عن الحقّ في حجج الله تعالى تكذيباً بها وجحوداً لها لا يخفون على الله تعالى، وسيعاقبهم. أفمن يُلْقى في النّار على حرّ وجهه خيرٌ أمّن يأتي آمناً يوم القيامة ويدخل الجنّة مطمئناً. الجواب بطبيعة الحال معروف. وعلى سبيل التّهديد للمشركين يقال لهم: اعملوا ما شئتم من سيّئات فإنّ مصيركم معروف، والله تعالى بما تعملون بصير وسيعاقبكم.

ويصرّ كفّار مكّة على موقفهم. ويستمرّ حديث السّورة الكريمة عن القرآن الكريم وموقف الكافرين منه والمؤمنين. إن الّذين كفروا بالقرآن الكريم لّما جاءهم على لسان المصطفى - صلّى الله عليه وسلّم - لا يخفون عليه عزّ وجلّ وسيعاقبهم. وإنّ هذا القرآن الكريم لكتابٌ عزيزٌ يعزّ الله تعالى به كلّ من ارتبط منه بسبب. ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنّ كلّ ما اشتمل عليه القرآن الكريم هو الحقّ المحض. والحقّ لا يستطيع أن يأتيه الباطل السّابق ولا اللّاحق، ولا يمكن أن ينال الباطلُ الحقّ

بسوء. والقرآن الكريم نزل مشتملاً عل الحقّ ومن أجل إحقاق الحقّ، والقرآن الكريم تنزيلٌ ووحيٌ من الله تعالى الحكيم المحمود في كلّ الأحوال.

وأنت يا محمّد، يا أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم، مايقال لك من المشركين إلا ما قد قال المشركون للرّسل منْ قبلك. فعليك بالصّبر كما صبروا. إن ربك يا محمّد لذو مغفرةٍ لذنوب من استغفر، وذو عقابٍ أليم لمن كفر واستكبر. فعلى كفّار مكّة أن يتوبوا ويؤمنوا ويعملوا صالحاً. وقد أنزلنا القرآن الكريم وبيّنا معانيه بلسانٍ عربيٍّ مبين. فليس للقوم عذر في الإعراض عنه وهم أئمّة البيان العربي. ولو أنّا جعلنا الكتاب العزيز قرآناً أعجمياً لقالوا هلا بينت معاني آياته، ولقالوا على سبيل الإنكار: أقرآن أعجميّ ورسولُ عربيّ! قل يا محمد: هذا القرآن الكريم الّذي نزل بلسانٍ عربيٍ مبين، هو للّذين آمنوا هدىً من الضلالة، وشفاءٌ لهم من جميع الأمراض المعنويّة والحسّيّة. والّذين لا يؤمنون بهذا الكتاب العزيز في آذانهم صممٌ باعتراف أوّل السّورة، وهو عليهم زيادة عمىً لبصائرهم وقلوبهم الّتي عميت أصلاً.

إنّ أولئك المعرضين عن القرآن الكريم البعيدين عنه معنىً بمنزلةٍ البعيدين حسّاً الّذين يُنادَوْن من مكانٍ بعيدٍ، فلا يكادون يسمعون صوتاً، ولا يفهمون قولاً.

واستمرارا في تسلية المصطفى – صلّى الله عليه وسلّم – يتحوّل السّياق إلى الحديث عن موقف قوم موسى – عليه السّلام – المشابه لموقف قوم محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – من الكتابين الكريمين الموحى بهما إلى الرّسولين الكريمين. لقد آتى الله تعالى موسى – عليه السّلام – التّوراة الّتي بشأنها قومه – عليه السّلام – بين مؤمن وكافر. ولولا كلمةٌ سبقت من ربّك يا محمّد بتأخير العذاب إلى يوم القيامة وحتّى استيفاء القوم آجالهم بالموت لقضي عليهم بالهلاك الفوري.

والعجيب في شأن الكافرين أنّهم رغم كلّ هذا البيان هم في شكٍّ من القرآن الكريم إلى حدّ ارتيابهم واضطرابهم وعدم اطمئنانهم. وينبّه السّياق إلى مسؤوليّة كلّ إنسانٍ وَحْدَه عمّا عمل من خيرٍ وصالحٍ له، شرٍّ وطالحٍ عليه. وما ربّك يا محمّد ويا أيّها الإنسان بظلاّمٍ للعبيد، بحذف حسنةٍ أو إضافة سيّئة. إن عليكم يا كفّار مكّة أن تبادروا إلى الإيمان وعمل الصّالحات.

وبعد حديث السّورة الكريمة عن قدرة الله تعالى المطلقة بقصد حمل الكافرين على الإيمان والعمل ليوم القيامة يأتي الحديث عن علم الله تعالى المحيط. إن إلى الله تعالى وحده دون سواه يُردُّ علم السّاعة، فلا يعلم وقت قيام السّاعة نبيٌّ مرسل ولا مَلَكٌ مقرّبٌ، فضلاً عمّن سواهما. وما تخرج من ثمراتٍ من أوعيتها وما تحمل من أنثى البشر وغيرهم ولا تضع إلاّ بعلمه عزّ وجلّ. ويوم القيامة ينادي الحقّ جلّ وعلا المشركين ويسألهم على سبيل التّبكي: أين شركائي الّذين كنتم في الدّنيا تشركونهم معي في العبادة؟ قالوا: أعلمناك يا ربّنا الآن ما مِنّا من شهيدٍ يشهد أنّ لك شريكاً. وهذا الإقرار منهم بتوحيد الألوهيّة يجيء بعد فوات الأوان. وغاب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله تعالى في الحياة الدّنيا مِنْ قَبْل. أيقنوا أنّهم ما لهم من مهربٍ من عذاب الله تعالى.

وهذا الإنسان الجنس الّذي يَعْرِف الله تعالى في الرّخاء، ويتركه في الشّدّة لا يملّ من دعاء الخير لنفسه، وإن مسّه الشّرّ مسّاً خفيفاً فإنّه يؤوسٌ من رحمة الله تعالى قنوط من رَوْحه. وهذا الإنسان الجنس الكافر الكفور للنّعم إن أذاقه الله تعالى رحمةً منه من صحّةٍ وغنىً وجاهٍ وما إلى ذلك، من بعد ضرّاء مسّته ليقولنّ على سبيل الاختيال والفخر: هذا الّذي تحقّق هو لي وأنا جديرٌ به لأنّي أنا الّذي أستحقّه! ويتمادى في حمقه وغروره ويقول: وما أظنّ السّاعة قائمة! ولو فُرِض أنّ السّاعة قد قامت ورُجِعْت إلى

ربّي جلّ وعلا إنّ لي عنده الخير الوفير والمال الغزير بدليل هذا الّذي لي في الدنيا مما تحصّلت عليه باجتهادي وعبقريّتي من خير ومال! ونسي هذا الكافر الكفور أنّ الفعّال في الأمور كلّها هو الله تعالى وحده لا شريك له. فلينبّئنّ الله تعالى الّذين كفروا بما عملوا من سيّئات، وليذيقنّهم من عذابٍ غليظ وعقابٍ شديد. وفى مقدّمة هؤلاء كفّار مكّة.

وإذا أنعم الله تعالى على الإنسان الجنس الكافر الكفور للنّعم أعرض بوجهه عن دعوة الحقّ وابتعد بناحيته عنها ونسي الله تعالى في الرّخاء، وأشرك معه في العبادة سواه وزعم أنه إنّما يعبد الآلهة المزعومة لتقرّبه من الله تعالى زلفى وتزيده رفعة! وإذا مسّه الشّرّ مسّاً خفيفاً فذو دعاءٍ لله تعالى واسعٍ لا أوّل له و لا آخر، و أقرّ بتوحيد الألوهيّة، و أفرد الله تعالى بالعبادة، و أخلص له وحده دون سواه الدّعاء.

إنّ هذا هو حال مشركي مكّة و المشركين في كلّ زمانٍ ومكانٍ يتركون الله تعالى في الرّخاء، ويعرفونه في الشّدّة.

قل يا محمّد لمشركي قومك وقل أيّها المؤمن لكلّ مشرك: أرأيتم إن كان هذا القرآن الكريم الّذي أعرضتم عنه و كفرتم به خلافاً للمتوقّع منكم إنّما هو من عند الله تعالى حقاً وصدقاً فهل يوجد من هو أضلّ منكم، وأنتم الّذين في الشقاق البعيد، والخلاف الأكيد، والخروج عن الصّراط المستقيم و الصّراط القويم؟ إنّه لا يوجد من هو أضلّ منكم؛ فعليكم تدبّر الأمر قبل فوت الأوان بالإيمان، وإفراد الله تعالى بالعبادة، واتّباع محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وتصديق القرآن الكريم والعمل بهديه، والإيمان بالبعث والعمل ليوم القيامة.

ولما كان كفّار مكّة ومن شاكلهم ما يزالون مصرّين على إعراضهم عن دين الإسلام فإنّ رحمة الله تعالى الواسعة ما تزال تلاحقهم كي يتداركوا الأمر قبل الموت.

إنّ السّورة الكريمة تقرّر أنّ الله سبحانه و تعالى سيرى النّاس آياته البيّنات في الآفاق وفي أقطار السّموات والأرض وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم ويتأكّد أنّ هذا القرآن الكريم هو الحقّ الموحًى به من رب العالمين. أو لم يكف ربّك يا محمّد ويا أيها الإنسان أنه على كلّ شيء شهيد. والله تعالى يشهد أنّ هذا القرآن الكريم موحٍ به إلى محمّد صلّى الله عليه و سلّم .و كفى بالله شهيداً.

ألا إنّ المشركين في شكّ وارتيابٍ من لقاء ربّهم يوم القيامة. ألا إنّ الله تعالى قد أحاط بكلّ شيء علماً وقدرةً فوحّدوه و أفردوه بالعبادة.

ممّا سبق يتبيّن كيف يأخذ بعض المعاني بأطراف بعض في طريقةٍ تأسِر القلب وتخلُب اللّبّ، كما يتبيّن أنّ السّورة المكّيّة الكريمة الّتي تُعْنى بأسس العقيدة تهتمّ اهتماماً أكيداً بالقرآن الكريم، وبيوم القيامة، وبجنس الإنسان الكافر والكفور، وتقّدم له الآيات المعنويّة والمادّية كي يوحّد الله تعالى ويحقّق الهدف الّذي خلقه الله تعالى من أجله وهو إفراد الله تعالى بالعبادة. والسّورة الكريمة تؤكّد إحاطة الله تعالى بكلّ شيء علماً وقدرة.

٨- تحدّثت سورة فصّلت على التفصيل عن عمليّات خلق الأرض دون دحو في يومين، ودحوها في يومين، و خلق السّموات السّبع في يومين، تمام ستّة أيّام، وذلك في الآيات الكريمات من التّاسعة إلى الثّانية عشرة. وليس لهذا التفصيل مماثل في القرآن الكريم كلّه. و يمكن بالجمع بين الآيات الكريمات في سورة فصّلت والآيات الكريمات في سورة النّازعات من السّابعة والعشرين إلى الثّالثة و الثّلاثين أن نتبيّن المراحل الثّلاث لخلق السّموات والأرض.

لقد تمت عمليّة خلق الأرض دون دحوٍ أوّلاً، وعمليّة خلق السّموات ثانياً، وعمليّة دحو الأرض و تهيئتها لسُكنى الإنسان ثالثا.

٩- في الآية الكريمة الخامسة والعشرين تتمّ استعارة القيض، وهو القشر الأعلى من البيض دليلاً على استعلاء شياطين الإنس والجنّ على أعداء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

١٠- لقد تبين أنّ النّار دركات إلى أسفل وذلك في الآية الكريمة التّاسعة والعشرين. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ وهذا المعنى أكّدته الآية الكريمة الخامسة والأربعون بعد المئة من سورة النساء الكريمة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ ، وكما أنّ النّار دركات إلى أسفل فإنّ الجنّة درجات إلى أعلى.

١١- الدّعوة إلى الله تعالى قمّة الاستقامة على منهج الله تعالى. وقد بيّنت الآية الكريمة الثّالثة والثّلاثون أهم شروط الدّعاة إلى الله تعالى، وقرّرت أنّهم هم الأحسن قولاً. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

١٢- من أكثر سور القرآن الكريم تبييناً للكيفيّة الّتي يتمّ بها دفع أذى كلٍّ من شياطين الإنس والجنّ سورتا الأعراف وفصّلت. لقد تحدّثت سورة الأعراف المكّيّة في هذه المعاني في الآيات الكريمات من التّاسعة والتسّعين بعد المئة إلى الثّالثة بعد المئتين. كما تحدّثت سورة فصّلت في هذه المعاني في الآيات الكريمات من الرّابعة

والثّلاثين إلى السّادسة والثلاثين. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

١٣- من نعوت القرآن الكريم الّتي تبتهج لها كلّ نفسٍ مؤمنةٍ وتطرب كلّ أذن قول الحقّ جلّ وعلا في الآيتين الكريمتين الحادية والأربعين والثّانية والأربعين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ وقوله تعالى في الآية الكريمة الرّابعة والأربعين: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

١٤- يُفْهَم من آيات آخر السّورة الكريمة الّتي تتحدّث عن جنس الإنسان الكافر الكفور أنّه يقرّ بتوحيد الرّبوبيّة أمّا توحيد الألوهيّة فإنّه يقرّ به ساعة الشّدّة فقط.

١٥- القرآن الكريم معجز؛ بما يمنح ويمنع. و من معجزاته أنّه قرّر أنّ الحقّ جلّ وعلا سَيُري المشركين في كلّ زمانٍ و مكانٍ آياته البيّنات في آفاق السّموات والأرض وفي أنفسهم حتّى يتبينّ لهم أنّ القرآن الكريم هو الحقّ من ربّ العالمين.

إنّ كل الآيات في الآفاق والأنفس والكتاب العزيز تؤكّد أنّ كل القرآن الكريم كلام ربّ العالمين، نزل به الرّوح الأمين على قلب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. جاء

في الآية الكريمة الثّالثة والخمسين قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

١٦- تختم السّورة الكريمة بتقرير شكّ كفّار مكّة في البعث بعد الموت رغم كلّ الأدلّة على القدرة المطلقة للذّات العليّة، وتبيين إحاطة الحقّ جلّ وعلا علماً وقدرة. قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ صدق الله العظيم .

ثانياً

سورة الشورى

﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ
﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ
رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾
وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا
وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ
شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا
لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ
يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ
يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ
مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ
أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ
ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ
أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ
وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ
حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾
يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ

﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا
نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟
لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ
ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ
قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ
﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ
ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا
يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن
يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ
أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ
فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا

عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ
عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا
رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ
عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن
نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا
ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ
﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ
يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ
أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن
جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ
ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ۞

بين يدي التفسير

(١)

"اللّه تعالى الّذي أنزل القرآن الكريم، وخلق السّموات والأرض وما فيهما، وإليه المصير، هو المستحقّ أن يُعْبَد وحده"

تبدأ سورة الشّورى المكّيّة الكريمة بخمسة حروف مقطّعة: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ منها الحرفان الأوّلان اللّذان تبدأ بهما كلّ سور آل حم السّبع. وجرياً على عادة كلّ السور الكريمات الّتي تبدأ بالحروف المقطّعة في الانتصار للقرآن الكريم على الفور أو التّراخي يأتي الانتصار للقرآن الكريم على الفور، وكذلك يأتي الانتصار أثناء السّورة الكريمة وفي ختامها. هكذا يوحي إليك يا محمّد وإلى الّذين من قبلك من النبيّين الله تعالى العزيزُ ملكه الحكيمُ في صنعه وتدبيره. إن الله تعالى العزيز الغالب هو الذي أنزل القرآن الكريم الّذي كلّ آياته حِكَمٌ ترضي كلّ عقلٍ بنصوصها، وتشبع كلّ نفس، وتطرب كلّ أذنٍ بلذيذ نظمها. والله تعالى الّذي أنزل القرآن الكريم، معجزة المصطفى - صلّى الله عليه وسلّم - الكبرى البيانية، لأنّه - عليه الصّلاة والسّلام - مبعوثٌ في أمّة البيان، له ما في السّموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً. وهو جلّ وعلا الأعلى من كلّ عليّ، الأعظم من كلّ عظيم. وفي التذييل: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ تقدّمت الصّفة الّتي تومئ إلى علو السّموات المتقدّمة في الذّكر، وتأخّرت الصّفة الّتي تومئ إلى عظمة الأرض الّتي احتاجت وَحْدَها أربعة أيّام من بين الأيّام السّتّة الّتي تّم خلالها خلق السّموات والأرض معاً.

ويكون في السّورة الكريمة وفي القرآن الكريم تَقْليبٌ للأحاديث في آيات الله تعالى المختلفة من معنويّة وحسّيّة بسبب إصرار المشركين على شركهم رغم الأحاديث المتتابعة في مختلف آيات الله تعالى. تكاد السّموات يتفطرن من عظمة الله تعالى وتتصدّع الواحدة منهنّ فوق الّتي تليها، والملائكة الأطهار يسبّحون بحمد ربّهم جلّ وعلا، لا يملّون ولا يتعبون، ويسألون الله تعالى المغفرة لمن في الأرض من المؤمنين. وهكذا يتقدّم الحديث المتعلّق بالسموات ويتأخّر الحديث المتعلّق بالأرض تمشياً مع السّياق في السّورة الكريمة. وكذلك ينسجم الكون ويتناغم في طاعة الله تعالى والتّسبيح بحمده مع الملائكة الأطهار في السّماء، والمؤمنين الأبرار في الأرض. ألا إنّ الله تعالى هو الغفور لذنوب المؤمنين المستغفرين والّذين تستغفر لهم ملائكة السماء، الرّحيم بالمؤمنين أن يعذّبهم بعد أن تابوا إليه توبةً نصوحًا. إنّ الملائكة مفردو الإرادة لا يعصون الله تعالى، ما أمرهم ويفعلون ما أمرهم عزّ وجلّ به. أمّا المؤمنون من البشر فإنّهم ثنائيو الإرادة، يصحّ أن يأتي منهم كلٌّ من الخير والشّرّ. ولأنّ المؤمنين بشر، لذا يصحّ أن يأتوا الذّنوب ومنها اللّمم. وهم يسألون الله تعالى الغفور الرّحيم أن يغفر ذنوبهم ويرحمهم بقبول توبتهم النصوح.

وما هي النّغمة النّشاز في هذا الكون الّذي يسبّح بحمد الله تعالى، ما فَقِهْنا تسبيحه وما لم نفقه؟ إنها نغمة المشركين، وفي مقدّمتهم كفّار مكّة. إن المشركين الّذين اتّخذوا من دون الله تعالى أولياء ونصراء ومعبودين، الله تعالى محصٍ عليهم كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من القول والفعل ومجازيهم عليه. وأنت يا محمّد لست عليهم بوكيلٍ ولا مسيطر، إنما عليك البلاغ وَحْدَه وقد فَعَلْت، وفي ذلك تسليةٌ للمصطفى – صلّى الله عليه وسلّم– الّذي كادت نفسه تذهب حسراتٍ لإعراض قومه عنه عليه الصّلاة والسّلام.

وتظلّ رحمة البرّ الرّحيم تطارد عباده رغم عناد بعضهم وإصرارهم على الشّرك على غرار كفّار مكّة أئمّة البيان العربيّ. وهكذا أوحينا إليك يا محمّد قرآناً عربياً لتنذر أمّ القرى ومن حول مكّة المكرّمة من المدن والقرى التي تأخذ دوائرها في الاتّساع حتّى تشمل العالم كلّه. لأن محمداً - صلّى الله عليه وسلّم - قد أرسله الله تعالى إلى الناس أجمعين. وأنزلنا إليك يا محمّد هذا القرآن الكريم؛ لتنذر الناس يوم القيامة الّذي لا ريب فيه ولا شكّ في مجيئه، والّذي يجتمع فيه الأوّلون والآخرون للحساب والجزاء، والنّاس يوم القيامة فريقان، فريقٌ في جنّات النّعيم وهم المؤمنون المّتقون، وفريقٌ في نار الجحيم وهم الكافرون المعاندون، مثل كفّار مكّة.

وأنت يا محمّد لا ينبغي لك آن تقتل نفسك حزناً لإعراض قومك عنك. إنّ عليك البلاغ وحده وعلى الله تعالى الحساب. ولو شاء الله تعالى لجعل النّاس أمّةً واحدةً مؤمنةً مهتدية، ولكن يدخل جلّ وعلا من يشاء في رحمته ويوفّقه للهدى. أمّا المشركون الّذين بَلَغَتْهم رسالة التّوحيد وأعرضوا عن الهدى وزاد الله تعالى قلوبهم عمى، فإنّهم ليس لهم من دون الله تعالى وليٌّ يتولّى أمورهم، ولا نصيرٌ ينصرهم. والعجيب في كفّار مكّة أنّهم رغم الإلحاح في دعوتهم إلى الهدى يصرّون على اتّخاذ الآلهة أولياء ونصراء من دون الله تعالى. إنّ الله تعالى هو الولي والنّاصر، وهو يحيي الموتى يوم القيامة، وهو على كل شيءٍ قدير، فهو عزّ وجلّ المستحقّ أن يفرد بالعبادة. وما اختلفتم فيه أيّها النّاس من شيءٍ من أمور الدّين فحكمه إلى الله تعالى الّذي يفصل بينكم يوم القيامة، فينصر المؤمنين المحقّين، ويخذل الكافرين المبطلين. إنّ القدير على أن يفعل كلّ ذلك في الأولى والآخرة هو الله تعالى المستحقّ أن يعبد وحده، ربّي الّذي ربّاني بنعمة ربّ العالمين، عليه توكّلت في كلّ أموري في الحياة الأولى، وإليه أرجع يوم القيامة. إنه جلّ وعلا موجد السّموات والأرض عل غير مثالٍ سابق. جعل لكم أيّها النّاس من أنفسكم

أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج لكم فيها منافع كثيرة. ينشركم ربكم ويكثّركم بسبب التّناسل وضمان الرّزق لكلّ دابةٍ تدبّ في الأرض من الماء والزّرع والضّرع وما إلى ذلك. ليس كمثل الله تعالى شيء، وهو جلّ وعلا السّميع لكلّ صوت البصير بكلّ أمر، فلا يخفى عليه عزّ وجلّ شيء في الأرض ولا في السّماء. له جلّ وعلا مفاتيح خزائن السّموات والأرض. يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده ويضيّق الرّزق لمن يشاء، لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه سبحانه. إنّه عزّ وجلّ بكلّ شيءٍ عليم.

ولا يخفى عناية الآيات الكريمات بالبعث بعد الموت. إنّ كفّار مكّة لا يؤمنون بالبعث ولا يعملون ليوم القيامة.

وهكذا تتجلّى عناية الآيات الكريمات في هذه السّورة المكّيّة بأسس العقيدة من توحيدٍ لله تعالى، واتّباعٍ للنّبي صلّى الله عليه وسلّم، وتصديقٍ للقرآن الكريم، وإيمانٍ بالبعث وتصديقٍ بيوم القيامة. إلى غير ذلك من أسس.

ويتحوّل السّياق إلى الحديث في أهم الأسس والهدف الذي خلق الله تعالى الخلق من أجله وهو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.

(٢)

"أرسل الله تعالى رسله بدين الإسلام، ويلزم إقامة الدّين، وعدم التّفرّق فيه، والويل للكافرين الصّادّين عن سبيل الله تعالى"

الآيات(١٣-١٦)

شرع الله سبحانه وتعالى لكم أيّها النّاس من دين الإسلام الّذي أرسل عزّ وجلّ به كلّ النّبيّين والمرسلين ما وصّى به نوحاً - عليه السّلام - أوّل رسل الله تعالى، والّذي أوحينا إليك يا محمّد من دين الإسلام وحنيفيّة إبراهيم - عليه السّلام - في صورتها الأخيرة، والّذي وصّينا به إبراهيم - عليه السّلام - أبا الأنبياء، وموسى عليه السّلام، كبير أنبياء بني إسرائيل، وعيسى عليه السّلام، أخر أنبياء بني إسرائيل. والّذي وصّينا به كلّ النّبيّين والمرسلين، وفيهم أولو العزم من الرّسل الخمسة الّذين جاءت أسماؤهم في الآية الكريمة الأولى من القِسْم، هو أن أقيموا الدّين وقوموا بحقوقه وواجباته، ولا تتفرّقوا فيه، ولا تختلفوا شيعاً وأحزاباً. ولا تتشتّت بكم السّبل عن سبيل الله تعالى الواحد، وصراطه المستقيم، ودينه القويم. عَظُمَ على المشركين ما تدعوهم إليه يا محمّد من توحيد الله تعالى وشهادة أن لا اله إلا الله، وكبر على إبليس وجنوده أن يُعْبَدَ الله تعالى وَحْدَه دون سواه. الله تعالى يجتبي إليه ويصطفي من يتّجه إليه ويقبل عليه ويجاهد في سبيله عزّ وجلّ، والله تعالى يهدي إليه من ينيب إليه، ويكرم بهداية التوفيق ويتوب على من يتوب إليه. وبعد ذكر اسم نوح - عليه السّلام - تأتي الإشارة إلى خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين محمّد بن عبد الله - صلّى الله عليه وسلّم -، وفي ذلك تأكيدٌ لشرف

محمّد بن عبد الله – صلّى الله عليه وسلّم — على أولي العزم من الرّسل، فإن ذكر اسم نوح –عليه السلام– أوّلاً ضروريّ لأنّه أوّل من وصّاه الله تعالى من المرسلين. وشرف محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – لأولي العزم من الرّسل أومأت إليه الآية الكريمة السّابعة من سورة الأحزاب. لقد ذكرت الآية الكريمة الخمسة من أولي العزم من الرّسل وابتدأت بمحمّد بن عبد الله – صلّى الله عليه وسلّم– خاتمهم وأشرفهم، عليهم صلوات ربّ العالمين وسلامه أجمعين.وما تفرّق جميع الأتباع وكانوا شيعاً وأحزاباً إلاّ من بعد ما جاءهم العلم الصّريح بالدّين الصّحيح، وكان التّفرّق والتّشرذم بباعث البغي بينهم والأنانيّة الشّخصيّة والمصالح الذّاتيّة وليس بباعث نقص الحجّة أو عدم وضوح المحجّة. ولولا كلمة سَبَقَتْ من ربّك يا محمّد بتأخير الحساب إلى أجل مسمّى هو يوم القيامة لقُضِي بينهم في هذه الحياة الدّنيا ونَصَرَ الله تعالى المؤمنين على الكافرين. وإنّ الّذين أورثهم الله تعالى التّوراة والإنجيل من اليهود والنّصارى لفي شكٍّ من هذا الكتاب العزيز إلى حدّ الارتياب، مع أنّ نعت محمّد بن عبد الله – صلّى الله عليه وسلّم – مكتوبٌ عندهم في التّوراة والإنجيل.

ومن مقوّمات إقامة الدّين يا محمّد أن تدعو إليه، وأن تستقيم عليه كما أمرك الله تعالى، أنت ومن تاب معك من المؤمنين، وبألا تتّبع أهواء أصحاب الأهواء وفيهم اليهود والنصارى. وقل يا محمّد لأهل الكتاب الّذين أورثوا الكتب السّماويّة السّابقة ويرتابون في القرآن الكريم: آمَنْتُ بكلّ الكتب الّتي أنزلها الله تعالى، وأُمِرْت كي أعدل بينكم في الأحكام. الله المستحقّ أن يوحَّد هو ربّنا وربّكم، مربينا بنعمه ومربّيكم. لنا أعمالنا الّتي سنحاسب عليها، ولكم أعمالكم الّتي ستحاسبون عليها. لا حاجة إلى الحجّة بيننا وبينكم، فإنّ حقّنا واضح وأبلج، ودليلنا قويٌّ وأفلج. الله يجمع بيننا يوم القيامة لفصل القضاء. وإليه المصير يوم يقوم الأشهاد للحساب والجزاء.